



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية

مجلة إسهامات للبحوث والدراسات

E-ISSN.2543-3636 / P-ISSN.2543- 3539

<http://ishamat.univ-ghardaia.dz/index>



## الأجواء العلمية بتونس مع منتصف القرن 18م على ضوء الرحلات

### الجزائرية الحجازية (الرحلة الورثيلاية أنموذجا)

- سحابات زهيرة

-الإيميل الإلكتروني: [zahirasehabat@gmail.com](mailto:zahirasehabat@gmail.com)

- جامعة الجيلالي ليايس - سيدي بلعباس -

- دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر

الملخص :

يدور موضوع المقال حول:الأجواء العلمية بتونس مع منتصف القرن 18م على ضوء الرحلات الجزائرية الحجازية (الرحلة الورثيلاية أنموذجا)، وبالضبط ما بين 1766-1767م الموافق لـ 1180هـ، حيث عرفت تونس خلال هذه الفترة نشاطا علميا كبيرا باعتبارها وجهة علمية هامة والتي لم تكن وليدة اللحظة، ومازادها إشعاعا أنها شكلت نقطة عبور للجزائريين للمرور نحو الحجاز من أجل تأدية فريضة الحج، وبالتالي أخذت عقول العلماء الرحالة الجزائريين والذين كان لهم نصيب من هذا الجو العلمي المميز الذي عرفته تونس خلال مع منتصف القرن 18م، والورثيلاية على غرار الرحالة كان له حضور مميز فيها حيث أبلى البلاء الحسن، ولهذا أبدع في وصف هذه الأجواء العلمية بدقة ولم يترك تفصيلا صغيرا لم يذكره، كما لم يغفل عن ذكر العلماء والصلحاء سواء الذين إلتقاهم او سمع عنهم في كل المواطن التونسية الى مر منها.

الكلمات المفتاحية:تونس؛ الورثيلاية؛ الرحلة؛ الأجواء العلمية؛ العهد العثماني.

**Abstract :**

The topic of the article: **Revolves around the scientific atmosphere in Tunisia with the middle of the 18th century AD in light of the Algerian Hejaz trips (the Worthellan journey as a model)**, and exactly between 1766-1767 AD corresponding to 1180 AH, as Tunisia has known during This period a great scientific activity as it is an important scientific destination that did not It was a spur of the moment, and what increased its radiance was that it constituted a transit point for Algerians to pass to the Hijaz in order to perform the Hajj. Consequently, the minds of Algerian traveling scientists who had a share of this distinct scientific atmosphere that Tunisia knew during the middle of the 18AD, and the Worthalani, like the traveler, had a distinguished presence in it where he performed well, and for this he excelled in describing these scientific atmospheres accurately and did not leave a small detail. He mentions him, as he did not overlook the mention of the scholars and righteous people, whether those he met or heard about in every Tunisian citizen who passed by. **Key Words:** Tunisia; Warthelane; the trip; Scientific atmosphere; Ottoman era.

**مقدمة:**

كان للجزائر نصيب من الرحلات الحجازية خلال الفترة الحديثة، حيث أبدعوا في الوصف الدقيق لكل المواطن التي يدخلونها، إضافة إلى تدوين الأخبار بدقة، ومن بين هذه الرحلات رحلة الحسين الورثياني نحو الحجاز من أجل أداء فريضة الحج، ومن بين المدائن التي عبر منها هي إيالة تونس، حيث دخلها ذهايا وإيابا، واستقر فيها أثناء عودته من الحج فترة لا بأس بها، ولهذا كان شاهدا لذلك الإنتعاش العلمي والإزدهار الثقافي الذي عرفته تونس تلك الفترة، وعليه ألقى لنا الورثياني الضوء على ذلك الجو والنتاج العلمي الذي شهدته المنطقة

سنة 1766-1767م/1180هـ، وعليه فالإشكال المطروح هنا هو: إلى أي مدى وفق الحسين الورثياني في وضع وصف الأجيال العلمية بتونس خلال تلك الفترة، وهل كان له حضورا ومساهمة فيه؟

وقبل أن نعرج على رحلة الورثياني والأجيال العلمية بتونس مع منتصف القرن 18م لابد وان نعطي

مفهوما للرحلة وأساسياتها:

أولاً: مفهوم الرحلة:

- لغوياً: رحل يرحله رحلا، فهو مرحول ورحيل، وقيل معنى ترحلهم أي تنزلهم المراحل، وقيل فيه أيضا: رحل

الرجل إذا سار وأرحلته أنا، ورجل رحول وقوم رحل أي يرحلون كثيرا، ورجل رحال عالم بذلك مجيد له (ابن

منظور. 1119هـ ص 1609).

- إصطلاحاً: الرحلة مشتقة من الإرتحال وهي تعني الانتقال من مكان لآخر، لتحقيق هدف معين ماديا مكان

الهدف أو معنويا، حيث تشكل مجالا مرجعيا مهما ومادة أساسية أصبح الباحث يؤسس عليها معلوماتها النظرية

ويبني أفكاره التاريخية، فهي تتميز بالغنى والتنوع في مضامينها وفي أشكالها ما يفيد بتشبهها بفناء بيت تنفتح فيه

أبواب حجرات متعددة (سباب. 2015. ص 170).

- ولقد شكل آداب الرحلات نافذة معرفية من خلال التعرف على بلدان وأقطار عديدة، تجلى ذلك بوضوح

من أصحاب المدرسة الجغرافية الكلاسيكية في القرن 4هـ/10م مع الأصبخري وابن حوقل والمقدسي وغيرهم،

والذين جمعوا الرحال والعلم الجغرافي. (ربوح. 2018. ص 298).

- أسباب الرحلة: تختلف أسبابها من شخص لآخر باختلاف الأغراض البشرية التي تستدعي القيام بها،

فبعضها يغلب عليها الجانب العلمي والتاريخي والجغرافي والبعض الآخر يغلب عليها الجانب الأدبي والوجداني

والبعض الآخر يهدف أداء فريضة الحج، كما يمكن أن يجمع أكثر من غرض حيث كان معظم العلماء يستغلون

رحلتهم للحج ويلتقون بالعلماء والمشايخ ويأخذون عنهم في مختلف البلاد الإسلامية التي يمرون بها ذهابا وإيابا.

(العمري.2016م. ص ص 122، 121).

ولقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات مثلهم مثل غيرهم ولا سيما خلال القرن 18م، وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبذلك تكون رحلات حجازية، وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علمية، ولكن الجزائريين بالقياس إلى كتاب الرحلات المغاربية، كانوا قليلي الإنتاج ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنهم (سعد الله. 1998. ص ص 381، 382).

- أهداف وفوائد الرحلة: إن للرحلة العلمية فوائد جلية، كان الطلبة يسعون للحصول عليها من العلماء والفضلاء ونذكر منها مايلي:

1. أخذ العلم مباشرة من الشيخ والجلوس إليه أهمية كبيرة كبرى في التعليم، فالطالب لا يكتب بقرأة مصنفات الأستاذ.
2. التعرف على مناهج التعلم والمستجدات الطارئة على التخصصات العلمية المختلفة والتحكم فيها.
3. التعرف على البلدان والشعوب وثقافتهم وتقاليدهم وإمكانية التبادل الثقافي بين المسلمين.
4. أخذ الإجازات من شيوخ متعددين وفي تخصصات علمية مختلفة هذا ما يدعم المصداقية العلمية للطالب. (ربوح. 2018. ص 300).

ثانيا: التعريف بالرحالة الحسين الورثياني:

- حياة الورثياني الشخصية:

قال عنه الحفناوي: «كان رحمه الله مجاب الدعوة شديد السطوة لا تأخذه في الله لومة لائم ليله قائم

ونهاره صائم»، وقال أيضا فيه:

تراه يصلي ليله ونهاره\*\*\*يظل كثير الذكر لله سائحا(الحفناوي. 1906. ص 133).

إسمه الكامل هو الحسين بن محمد السعيد الورثيلان(ولد سنة 1125هـ/1713م وتوفي سنة 1193هـ/11779م)، رحالة ومؤرخ فقيه مال إلى التصوف، ولد ونشأ في قبيلة ورثيلان (قبيلة قرب بجاية) (نومض. 1980. ص 340)، حيث ينتسب إلى أسرة علم تعود أصولها حسب الروايات المتداولة إلى شرفاء تافالنت، استقرت ببجاية ثم تحولت في عهد جده الولي الصالح علي البجائي إلى مواطن قبيلة بني ورثلان بالقبائل الصغرى، وقد يكون أبوه من ميلة، وصاهر أسرة محمد شقران صاحب منطقة قنات كما أثبت ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله وقد استثنى أفراد أسرة الورثيلاني بالعلم والتقوى والصلاح (سعيدوني. د.ت. ص 452)، وهكذا اجتمع لأسرة الورثيلاني الدين والدنيا، الدين من جهة جده ووالده اللذين كانا من المرابطين، والدنيا من جهة أخواله أولاد أمقران اللذين كانوا حكاما وسادة (العمري. 2016م. ص 124).

حفظالورثيلانيالقرآن الكريم على يد الشيخ يوسف بن بشران، تم تفرغ لدراسة علوم الفقه والحديث والنحو والصرف والعروض على والده وشيوخ القرية والزواوية، الآخرين أمثال الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله والشيخ يعي اليعلاوي والشيخ أحمد رزوق بن الشيخ العنابي صاحب المؤلفات العديدة، وتضلع في علوم الفقه والتوحيد والصرف والنحو والبلاغة والآداب وحفظ الشعر ونظمه.(بوعزيز. 1995. ص ص 44،45).

تزوج الورثيلاني عدة مرات وأنجب أولادا، حيث ذكر في رحلته أنه أثناء حجه الأخير أخذ معه زوجته عائشة بنت الفاضل سيدي السعيد وعيشوشة التي كانت من عائلة أخواله من أسرة المسعود بن عبد الرحمن من بني عيادل، وقد توفيت زوجته عيشوشة في تونس أثناء رجوعه من الحج، وقال عنها أنها كانت تحفظ ربع القرآن كما كانت تحفظ الوظيفة الزروقية وجزءا من رسالة ابن أبي زيد القيرواني الفقهية، وأما أولاده فقد ذكر الورثيلاني أنه أخذ معه أحدهم معه في رحلته إلى الحج، وهو محمد وزوجته فاطمة أخت عيشوشة المذكورة أعلاه، وقد كان خائفا من اللصوص في الجزيرة العربية (العمري. 2016م. ص 124).

ولقد أدى الورثياني فريضة الحج ثلاث مرات:

- الأولى: سنة 1153هـ/1740م وهو ابن 18 من عمره.

- الثانية: سنة 1166هـ/1752م وهذه عندما بلغ الواحد والأربعين من عمره.

- الثالثة: سنة 1179-1181هـ/1765-1767م والتي أتمها في الرابعة والخمسين من عمره. (سعيدوني. د.ت.

ص452)

### - حياة الورثياني العلمية:

ألف الورثياني عدة كتب معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد، (سعد الله. 1998. ص 395)، وأعمالا

شعرية أيضا تتمثل في قصائد مدح الرسول عليه الصلاة والسلام. (غويني. 2012. ص 214).

تميز الورثياني بجده في طلب العلم وتحصيله ونبوغه في مختلف الفنون والعلوم، مما جعله يتبوأ مكانا

عليا في بلدته، فأصبح من العلماء البارزين، حيث يرجع إليه في الفتوى وغيرها من المسائل الشرعية، فضلا على

أنه كان محل إحترام وتقدير من طرف عامة الناس وخاصتهم (العمرى. 2016. ص 125)، وعليه اشتهر أمره فكان

مقصد الزوار وطلبة العلم من مختلف الجهات، حيث ظل ذكرا عطرًا لما تركه من ذكر حسن، وما خلفه من

مصنفات وتأليف عدة، عرف منها على الخصوص: المنظومة القدسية في التصوف للشيخ عبد الرحمان الأخضرى

وتعليق على حاشية السكتاني وكتاب المرادين ورسالة في شكل جواب على قول بعضهم «خضت بحرا وقفت الأنبياء

بساحله»، وشرح لم يكمله على محصل المقاصد لأحمد بن زكري التلمساني وحاشية على صغير الخرشى، وتعليق

على شرح الصغرى للسنوسي، بالإضافة إلى قصيدة ميمية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم تتألف من خمسمائة

بيت وبعض الرسائل الإخوانية. (سعيدوني. د.ت. ص 453)

وعليه تبوأ الورثياني في مكانة علمية رفيعة، حيث تولى مهمة الدرس والتدريس، وأصبح شيخا لزاوية

الأسرة، كما كانت له زيارات دورية إلى بجاية وغيرها لإفادة طلاب العلم وأهله، حيث تتلمذ عليه الكثير ومنهم من

تولى مناصب دينية سامية. (العمري. 2016م. ص 125)، ومن أهم مؤلفات الحسين الورثيلاني: الرحلة الورثيلانية المسماة «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» وهي التي دون فيها رحلته بالكامل، ولقد دون ما رأى وسمع من أخبار ووضع لها وصفا في رحلته إلى الديار المقدسة، كما دونما شاهده من الأمكنة ومن إلتقاهم من العلماء والشيوخ والفضلاء، كما لم تكن تونس بمنأى الأماكن التي عبر منها الورثيلاني أثناء عبوره للحجاز من أجل تأدية فرضة الحج، حيث وضع وصفا لمدينة تونس وأوضاعها ولم يخلو الجانب الثقافي وأجواءه العلمية المميزة من مدوناته، ولهذا ارتأينا دراسة هذا الموضوع والتطرق إلى الأجواء العلمية بتونس من منظور الورثيلاني الذي زارها بحر القرن 18 ميلادي، ومن المواطن التونسية التي عبر إليها الورثيلاني أثناء ذهابه للحج: توزر- الجريد، وأثناء إيابه دخل قابس ثم صفاقس -سوسة- تونس-ماطر-بئر-طبرقة-تستور-تبرسق – الكاف.

تتصف رحلة الورثيلاني بما يلي:

1. الإلتزام بالصدق في كل ما أورده من أحداث ووقائع في رحلته
2. تحري الحقيقة التاريخية، مع الإشارة إلى مصدرها
3. التحلي بالورع والتقوى
4. إلتزامه بأسلوب المحسنات والإقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي. (هلايلي. 2008. ص 24).

وعليه سنتطرق إلى الأجواء العلمية بتونس العثمانية مع منتصف القرن 18م على ضوء الرحلة الورثيلانية

ذهابا وإيابا:

ثالثا: الأجواء العلمية بتونس من منظور الورثيلاني:

الرحلة للشيوخ العالم الرباني والشريف النوراني سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني قدس سره من أهم الرحالة الجزائريين خلال القرن 18م، والتي تحمل رحلاتهم كم هائل من المعلومات التاريخية القيمة، حيث تعد من المصادر الأولية لدراسة أيا موضوع في التاريخ باختلاف جوانبه، ورحلة الورثيلاني من الرحلات الجزائرية

الحجازية التي وصلتنا كاملة غيرمنقوصة، وهذا من حسن حظنا، وما آتي هو ذكرنا للأجواء العلمية بتونس خلال هذه الفترة والتي كان للورثيلاني نصيب فيها.

- وفضلنا أن يكون ذكرنا للأجواء العلمية بتونس حسب المواطن التونسية الي يدخلها الورثيلاني، أثناء ذهابه للحج وأثناء عودته، وجاءت كالتالي:

- قال الورثيلاني في مقدمة كتابه: «أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي، فإنها تزهب بمحاسنها عن كثير من الأخبار» (الورثيلاني. 1908. ص4)، هذا دلالة على أن الرحلة تحمل في طياتها الكثير، حيث تعود أهميتها إلى ما اشتملت عليه من معلومات في غاية الأهمية تتصل بالحياة اليومية والحالة الاقتصادية والمعاشية، وأسلوب الحكم ومستوى الثقافة، وطبيعة العادات ونوعية اهتمامات العامة في البلدان التي تعرف عليها في سفره. (سعيدوني. د.ت. ص453)

افتتح الورثيلاني رحلته في تونس أثناء ذهابه للحج مدينة توزر وقابس التونسية ليتالتقى بعلمائهم وصلحاءهم، وأعطى فيها لقايس وصفا جميلا حيث قال: « فإننا أقمنا يومين في قابس وزرنا أبا لبابة وزرنا جميع من فيها من الأحياء والأموات واجتمعنا مع بعض فضلائها من طلبة العلم وصلحاء البلد» (الورثيلاني. 1908. ص ص126-129)، كما اجتمع مع فضلاء الحمارنة أيضا وبالمدرس سي عمر أذ (الورثيلاني. 1908. ص129).

يرجع الورثيلاني سبب الإنتعاش العلمي والجو المهيأ من طرف حكام تونس والذين اهتموا بهذا الجانب وأولوه عناية كبيرة، ولعل هذا ما شجع التفاعل بين العلماء والطلبة وحتى الزائرين للمنطقة الذين حاولوا الإندماج معهم من أجل الإفادة والإستفادة، ويذكر أن حتى الفضلاء والعائلات العلمية لها وزن لدى سلاطين تونس ولهم جاه عظيم عندهم ومنهم فضلاء الحمارنة (الورثيلاني. 1908. ص651).

عرج الورثيلاني على قابس أثناء عودته من الحج والتي زار فيها قبر الصحابي أبي لبابة والذي بجانبه حسبته مدرسة عظيمة ومسجد وفيه طلبة علم يتعلمون وبها إمام فاضل كما يوجد بها العديد من الفضلاء، (الورثيلاني.

1908. ص 652)، ولقد اجتمع بها مع فضلاء وعلماء قابس في مجلسا علميا وطلبوا منه البحث في بعض النوازل من مشكلات الفنون وقوانين العلوم ولقد حل لهم الورثيلاي ما استطاع منهم، وفي نفس الوقت أراهم مؤلفاته والتي حسب قوله زادتهم تحركا لهممهم، والدليل أنهم كانوا محبي العلم والتعلم يقول الورثيلاي أنهم استغلوا تواجده بالمنطقة ليشفوا عليهم ويبردوا غليلهم من العلم، وتمنوا لو طالت زيارتهم لموطنهم (الورثيلاي. 1908. ص 653).

تحدث الورثيلاي بعد قابس عن مدينة جربة بالرغم من انه لم يزرها ولكنه تحدث عن شهرتها وهي الاخرى لم تكن بمنأى من المواطن السابقة لما تمتلكه من علماء فضلاء ومدارس وطلبة علم أيضا، ومنهم العالم سيدي موسى الجمي والذتي تأتيه الطلبة من كل البلاد وتشد إليه الرحال من جميع العباد لما يتميز به هذا العالم من علم كبير. (الورثيلاي. 1908. ص 654)

أما صفاقس والتي عرف فيها الرحالة نشاطا كبيرا حيث اجتمع مع علماءها وحضر معهم مجالس في مسجدهم العظيم الذي كان يلتقي فيه بها القراء والعلماء للتدريس، حيث حضر المجلس الأول في علم الكلام لأنني وجدت مدرسا فيه لم يستطع فهم الإشكال فضلا عن الجواب، وعلى تقدير فهم الإشكال فمن الصعب وضع الجواب وهذا لضعف ملكته "أي مستواه كان ضعيفا"، ثم انتقل وحضر مجلسا آخر في الفقه غير أن صاحبه حسبه فاقر بالعجز والتقصير، كما انتقل الرحالة وحضر مجلس آخر في النحو غير أن السائل تأدب معه في الطرح وكان يقرأ ويسأل ويسمع منه وينقل أيضا، حتى سمع به أهل صفاقس فصار الطلبة يخرجون إلى الخيمة يقصدون الإستفادة منه في العلم والإختبار (الورثيلاي. 1908. ص 656).

ويذكر الورثيلاي حادثة حصلت معه وهو في صفاقس يقول أنه لما أراد شراء بعض الكتب، أعطاه المشتري منه سؤالا في النحو وطلب منه إعراب مالك يوم الدين على أنه إسم فاعل أو صفة مشبهة وغير ذلك من وجوه الإعراب، وقصد من سؤاله التعجيز والعناد وإزالة بعض ما وقع له مع طلبة العلم في المجالس التي حضرها، إلا انه أقنعه في الأخير وبين له ذروة علمه، ومن الكتب التي اشتراها الورثيلاي آنذاك حاشية على البيضاوي، كما

قام في طريقه بزيارة المزارات ومنها اللخمي والشيخ النوري (الورثيلائي. 1908. ص656)، و صفاقس حسب الورثيلائي: «... هي أهل الصلاح والعلم الأحياء والاموات لا يضبط عددهم ولا يستقصى حدهم ...» (الورثيلائي. 1908. ص656)، وعليه فإن الأجواء العلمية لصفاقس قد كان للورثيلائي نصيب منها حيث وسع نشاطه العلمي بها وفاد واستفاد من علماءها وفضلائها، كما زاد حضوره للمجالس العلمية انتعاشا للعلم.

وطأت أقدام الورثيلائي بعد صفاقس موطن سوسة مدينة العلم والعلماء، فلقد بدأ حديثه عنها بالتعريف بالعلامة الشيخ الهادي الذي تأسف على عدم ملاقاته للورثيلائي، كما أن المدينة محل الصالحين والعلماء حيث قال «مدينة عظيمة قوية البركة عظيمة في الزيارة لإحتواءها على طبقة العلماء المؤلفين واشتمالها على أهل الترجيح من المجتهدين كالإمام المازري وابن يونس وغيرها، فإن الوفود تأتي عليها من كل جانب وهي مدينة علم وبركة عظيمة...» (الورثيلائي. 1908. ص658)، الواضح أن ولا مدينة تونسية تخلو من العلماء وطلاب العلم الذين سعوا إلى تنشيط الحركة الفكرية والثقافية بمدنهم، وجعلوها قبلة العلماء والرحالة الزائرين.

أما مدينة تونس فلم تخلو هي الأخرى من هذه الأجواء العلمية النيرة فلقد اجتمع الورثيلائي مع علماءها وشيوخها ومن بينهم الشيخ سيدي محمد الغرياني والفقير السيد ابن محجوبة الذي استضافه في بيته، وسيدي حمودة بن عبد العزيز ووالده سيدي محمد بن عبد العزيز الذي كان من المحققين، كما اجتمع مع المحدث النحوي اللغوي سيدي حسن الترجمان، والمحدث سيدي الكبير الشريف والمحدث الأصولي الكلامي النحوي سيدي أحمد بن عبد الصادق، وكان له لقاء مع العلامة صالح الكواشي وغيرهم من الفضلاء والعلماء الذين اجتمع بهم الورثيلائي أثناء إقامته بمدينة تونس، حيث قال: «وأما غير هؤلاء من العلماء فكثير والصلحاء والطلبة والفقراء وأهل النسبة والدين مما لا يحصى ضبطا... وكذا المجتمعون في جامع الزيتونة للإقراء والتدريس فتقصر العبارة عنهم وعن عددهم...» (الورثيلائي. 1908. ص660)، ولعل الظروف المهيأة وكثرة المعالم تساهم بشكل كبير في تنمية هذا الجانب وبالتالي يرتفع عدد العلماء بها.

ولقد خص الورثيلايني جامع الزيتونة بمدحا خاصا يختلف عن باقي المعالم الثقافية التونسية، لما له من مميزات فهو حسب قوله جامع للفنون إلتف حوله العلماء والطلبة للإفادة والإستفادة، كما كان منارة علم يقصدها العلماء والرحالة من كل الأماكن ويلتقون فيها مع علماء المنطقة ما يضيء عليها مزيجا خاصا يغذي الحراك الثقافي بها، ويقول الورثيلايني في هذا الشأن: «... إن الجامع المذكور يقصد جامع الزيتونة قد إنتشرت عليه الانوار وانبسطت عليه الأضواء والمعارف والعلوم والاذكار كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا للعلوم فما أحسنه من جامع أكرم به الطلبة الباحثين أنوار الفهوم فيه مشرقة وفوائده وعوائده محققة ومدققة فهو جنة العارفين وخلوة للمتعبدين الناسكين ومزارة للراغبين المشتاقين...» (الورثيلايني. 1908. ص 661)، ولقد أعجب الورثيلايني بما شاهده من إزدهار علمي في جامع الزيتونة، وبما كان يبذله لطلبة العلم له من الإعانة والتشجيع، كما قارن ذلك بما عرفه في وطنه خاصة في مدينتي الجزائر وقسنطينة، ونوّه بتفوق الإيالة التونسية (عبد السلام والحليوي.. 1993. ص 71).

لم يفوت الورثيلايني فرصة الإشادة بحكام وسلطين تونس الذي لهم الفضل أيضا في إنعاش الجانب العلمي بها، لأنهم أولوه عناية كبيرة وخصوه بإمتياز خاص، حيث صرفوا همهم إلى العلم وأقاموا منائر العزة، فبنوت المدارس وأوقفوا الأحباس لها، وأعزوا العلماء وأغنوا للدرس الجلاس، فأسهموا كلا على قدر همته وإشتغاله. (الورثيلايني. 1908. ص 662).

وفي ماطر كان للورثيلايني حديثا عن أسرة الشيخ سيدي أحمد المجذوب الذي أورث الله مقامهم لأولادهم، فتورث العلم ساهم في زيادة الإشعاع العلمي والفكري بتونس خلال هذه الفترة، وللشيخ سيدي أحمد المجذوب قبر معلوم ومشهور يزوره العام والخاص في جبل ماطر.

كما لم يتوانى الورثيلايني أثناء تدوين رحلته في الحديث عن أولياء الله في تونس، حيث قال «... وإن أولياء الله في تونس كالنجوم الأموات والأحياء...»، ولقد خصهم الورثيلايني بزيارة لمن استطاع إليه، كما زار قبر الفاضلة

الصالحة السيدة المنوبية وكان الشيخ سيدي عبد الله السوسي يزورها كثيرا (الورثيلاني. 1908. صص 667، 668)

مضى الورثيلاني في تونس خمسة أشهر ونيف وقام بتعمير وقته فيها بتدريس الفنون وضبط القواعد من العلوم باعتبارها قاعدة من قواعد العلوم حسب رأيه، إلا أنه أصدر عتبا عن أهلها وقال أنهم ينكرون البراني، وأعطى مثالا عن ما حصب لإبن مرزوق، بسبب التنافس والحسد والبغض وحب الرياسة، حيث يعتقدون في أنفسهم الكمال وفي غيرهم النقص، إلا أنه لم يبخل في وصف تونس ومدحها، وفي الجانب العلمي قال: « طيبة يقصد تونس لذوي الخشية من العلماء.» (الورثيلاني. 1908. ص ص 668، 669)، ولقد رحل الورثيلاني تاركا تونس وعلماءها الذين أحبوه، ولقد نوى الرجوع إليها والتوطن فيها رغبة في نشر العلم وبثه لكثرة الأخذين فيها (الورثيلاني. 1908. ص 678)، ولقد ودعه أكثر علماءها وجم فضلاءها وعمامة طلبتها ومنهم الفاضل بسيدي محمد الغرياني وسيدي عبد الله الشريف فاجتمعوا هناك وودعوه بأبيات شعرية تباكوا فيها لفراقه (الورثيلاني. 1908. ص 680)، الواضح أن الورثيلاني قد ترك أثرا طيبا له في تونس، فكان خير جليس وخير مدرس.

ترك الورثيلاني مدينة تونس مودعا علماءها وصلحاءها، وعرج نحو تستور التي قال فيها أن أكثر أهلها من الاندلس ثم دخل تبرسق ثم الكاف والتي كانت بمثابة معبرا لدخول قسنطينة (الورثيلاني. 1908. ص ص 681-683)

وهذه هي الأجواء العلمية بتونس والتي كان للورثيلاني نصيب كبير فيها حيث أبلى فيها البلاء الحسن من حسن أدب وعلم، كما جال مواطنها وأكرمها أهلها وعلماءها إلى أن دخل الإيالة الجزائرية، وهكذا انتهت رحلته في تونس التي سادها الجو العلمي المهيج.

#### الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره من معطيات، نستنتج ما يلي:

1. ساهمت الرحلة الورثيلانية في إعطاء وصف كامل وشامل للأجواء العلمية في تونس، حيث وفق الحسين الورثيلاني في وصفها بشكل دقيق، كما سعى لأن يكون جزءاً من هذا الجو العلمي المنير وأثبت حضوره به من خلال تواجده في المجالس العلمية وربطه لعلاقات مع علماءها.
2. أن سبب الإزدهار العلمي والإنتعاش الفكري الذي عرفته تونس، والذي بفضلها شكلت حصيلة ثقافية مهمة لدرجة أن علماءها وطلابها أعدادهم حسب الورثيلاني لا يحصى سببه أن سلاطين تونس أولوه عناية كبيرة، حيث اهتموا بهذا الجانب بتقديم الإعانة المادية والمعنوية التي تمثلت في التشجيع، ولهذا أقام الورثيلاني مقارنة بين الجزائر وتونس في هذا الميدان ورأى أن تونس تتفوق عليها بكثير
3. إحتواء تونس على عدة مراكز علمية مثل جامع الزيتونة جعلها مثل الشمعة المنيرة في الفضاء المغاربي لما يحتويه هذا الجامع من مميزات عدة ومنها حلقات التدريس، ما جعلها تكون قبلة العلماء والرحالة من أجل الإفادة والإستفادة وتكوين علاقات طيبة مع علماءها وبالتالي إضفاء جو علمي بهيج.
4. ارتفاع عدد علماء تونس خلال هذه الفترة، فأكثر من مرة يقول الورثيلاني عددهم لا يعد ولا يحصى، ولعل سببه توريث العلم وبالتالي ظهور عدة أسر علمية كأسرة المجذوب.
5. أغلب مواطن تونس التي مر عليها الورثيلاني تكتسي حلة العلم والعلماء وتعطي أهمية كبيرة للعالم والرحالة الزائر فتراهم يكرمونه ويحسنون ضيافته للإفادة منه والاستفادة ويتمنون إطالة زيارته ليستفيدوا منه، ولهذا نرى حضور الورثيلاني عدة مجالس علمية سواء في الجوامع أو في بيوت العلماء لتبادل الإستفادة.

6. في الأخير نستنتج أن الرحلة الورثيلائية كانت بمثابة المرآة التي أعطتنا صورة متكاملة غير منقوصة عن الأجواء العلمية في تونس خلال فترة تواجده بها، وبالتالي تعتبر مصدرا مهما في دراسة التاريخ الثقافي لتونس خلال القرن 18م.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور.(1119هـ). لسان العرب. القاهرة. دار المعارف.
2. بلاعدة العمري.(2016م). الرحلات الجزائرية الحجازية الرحلة الورثيلائية أنموذجا. دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية. (العدد 12).
3. بوعزيز يحي.(1995). أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. ط1. ج1. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
4. الحفناوي أبي القاسم محمد.(1906). تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر. مطبعة بيرفونتانة الشرقية.
5. ربوح عبد القادر. (2018). الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ/17م، رحلة يحي الشاوي الملياني ت1096هـ/1685م أنموذجا. مجلة البحوث والدراسات. المجلد 15(العدد 1).
6. سباب خيرة. (2015م). رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروف بالرحلة الأغواطية، دراسة طبيعية- إقتصادية- إجتماعية- عمرانية. المجلة الجزائرية للمخطوطات. (العدد 13).
7. سعد الله أبو القاسم. (1998م). تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830. ط1. ج2. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
8. سعيدوني ناصر الدين.(د.ت). من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين. الجزائر. البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.

9. عبد السلام أحمد والحليوي عبد الرزاق ، المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م.(1993). تونس. المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون-بيت الحكمة.-
10. غويني ليلى.(2012). التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث. مجلة الدراسات التاريخية. (العدد14).
11. نوهيذ عادل.(1980). معجم الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر الحاضرة. ط2. بيروت. مؤسسة نوهيذ الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
12. هلايلي حنيفة.(2008). الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثلاني وأبو راس الناصري. الشهاب الجديد. المجلد7(العدد7).
- الورثلاني الحسين بن محمد. (1908). نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثلانية. الجزائر. مطبعة بييرفونتانا الشرقية.